خليص في التاريخ المنسي (٢٠)

محمد علي الشيخ

معيار اختبار البلدية، وشهادة نجاحها هو : مدى اسهامها في (تمدين) القرية، ونقلها من العشوائية إلى ثقافة النظام . ومع تجاوز بعض الأراء المائلة للتطرف ، أو المائلة للكمال ، أو المغرومة بالسخط ؛ فإنه من العدل أن نشيد بفاعلية بلدية خليص ، وننصف دورها منذ تأسيسها . وأول مايخطر على الذهن في تفكيك بنية مشاريع بلدية خليص هو : (أولا) توسيع الفواصل بين البيوت التي استدعاها التشكيل الاجتماعي ، وطلب الأمان ، وتحصين الحمى - وهي ظروف لا زمت (النزل) في كل الجماعات ، وليست قاصرة على خليص - ومن ثم فك الإختناق بين البيوت ، وتحويل (دروب المشاة) إلى (سكك) سيارات ، وفتح فضاءات للتهوية ، ومنافذ للترويح . وهو : (ثانيا) تنظيم السوق من حيث - الترخيص - الواجهات - الرقابة - والأسعار - وحماية المستهلك . وهو : (ثالثا) تأمين إسكان بديل = مخططات سكنية بموجب اشتراطات الصلاحية والأحقية ، وتوفر الخدمات . وهو : (رابعا) خدمة مدخل القرية بخلق حالة جاذبة من الجمال ، ودالة على هوية القرية . وتعطي انطباعا بذائقة مترفة للمكان والمسؤول ...

لو أردنا تطبيق هذه الفرضيات على بلدية خليص ، ينبغي أن نكون حذرين في التعميم ؛ لأننا ندرك أن الكمال عصي على النوال - مثله كمثل كل الحقائق المطلقة ؛ لكننا نعلم من الشواهد مايضعنا في مقاربة من اليقين : بأن الأمور سارت على وجهتها المقبولة ، والمرضي عنها ؛ ومن باب " ليس في الإمكان أكثر مما كان " !!!

كانت حارة المغاربة كما هي في نشأتها الأولى = النزلة ، لا تتمدد ؛ بل تدور على نفسها ، وتلتف بيوتها كشجر الغابة متشابهة ، ومتلاصقة . يدخل في تشكيلها العامل الأسري ، ك(القرابة والمصاهرة) وكانت بعض مواد مبانيها مستقاة من البيئة ك(شجر المرخ ، وصريف النخل) وبعضها من (الطين) وحتى وقت قريب : - آواخر العقد السابع ، واوائل الثامن من القرن الرابع عشر - كانت مناظر أسوار القش لا تخطئها العين . ولم يجري عليها تعديل ؛ حتى بعد شيوع ماسمي - آنذاك - (المربعة) وهو بناء وحدة سكنية من غرفة واحدة ، تقوم بواجبات = الضيوف - المطبخ - غرف النوم للعائلة ؛ ثم تطور إلى نظام (غرفتين) يفصل بينهما مايسمى (سيب) وهو يشبه المدخل في مساحته ووظيفته . وتشق الحارة ممرات ضيقة ، يسلكها المشاة - وفي بعضها لا تتسع لإثنين ، ومنها - على وجه التقريب = الممر المؤدي للسوق الصغير ، والذي ينتهي عند (بقالة) غازي أبو غزاوي - رحمه الله . ومنها الممر المؤدي للمدارس الذي ينفذ لمقر هيئة الأمر بالمعروف سابقا . ومنها الممر الذي يحاذي منازل (آل الحجري) والممر الذي اشرت إليه سابقا في (١٩) والغريب أن البناء على الأطراف - على ضيقه وحاجته ، وعوز طالبه - يخضع لإشتراطات (الحكر) = مقابل مالي سنوي لقاء السكن ، يدفع لورثة مالكها بموجب عقد مكتوب ومشهود . وللتاريخ وللأجيال نشهد - لا طامعين ولا مكرهين - أنه بإمكانك أن توقف سيارتك أمام باب بيتك . وتبقى تلك الشقوق المفتوحة عنوة في بطن الحارة وعلى خصرها : فصلا من ذاكرة تاريخية تعزز انتماؤك للوطن ...

وعلى منوال حارة المغاربة تقاس باقي الحارات الموزعة على جغرافية خليص ، قبل أن تكون مصطلحا إداريا = محافظة خليص . إلا أن حارة المغاربة تصدرت العمل المؤسسي بحكم الجغرافيا والتاريخ ؛ وكان المأمول أن تصبح مدينة في ظل الحماس والميزانيات لولا توزيع الجهد على مراكز المحافظة ، وغياب اللمسة الإبداعية على الواجهات والمداخل ...

محمد علي الشيخ